القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا يرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانهم بعد تنصّرهم تسمّوا باسماء كان اصلها وثنياً مشيراً الى معبوداتهم كمركوريوس وذيونوسيوس وباخوس وسرطيوس لكنّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انّ الاعلام نصرانيّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيّة ومنها اخيراً ما دلّ على بعض الصفات الوافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممّن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمّى بعضهم في الجاهليّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤): « قُتل في الجاهليّة وهو الذي وضع النبيّ حاجم دمهُ يوم فتح مكة ». ومنهم آدم مولى بَلْتَعة ذكرهُ ابو تمّام في الحماسة ولدلّهُ آدم بن شدقم المنبجي الذي روى لهُ ياقوت شعراً في معجم البلدان (٣ : ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (ed.Freytag ١٧٥ : ١): قال ابو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربي وقد تكلّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبراهم على حذف الياء وإبْرَهَم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النَّبهانيّ ». وممّن تسمّى بابراهيم ابراهيم بن ايوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١ : ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ ٤٠١–٤١١) عُرفوا باسم ابراهيم تسمّوا بهِ في الجاهليّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال

لا يرون من طيور الماء الا ما لا يكاد يتجاوز عدد الاصابع العشر لكن بلاد فلسطين واسعة ولا تخلو من طيور عديدة حتى انَّ القنصل الانكليزي ترسترام (Tristram) احصى منها في السنة ١٨٨٨ نحو ٣٨٤ نوعاً وصفها في كتاب خاص. ومنذ ذاك الحين قد زاد هذا العدد زيادةً تُذكر بسعي ارباب البحث الذين لم يدعوا باباً من ابواب الكتابيَّة الَّا طرقوهُ وقد أدَّى بهم اجتهادهم لمعرفة طيور فلسطين الى ان بلَّغوا عددها الى ٤٠٠ ثمَّ الى نحو ٥٠٠ دقَّقوا في وصفها جميعاً

وان ظنَّ احد أنَّ في هذا القول مبالغةً اجبنا انَّ جهات فلسطين مع اختلاف مناطقها من اودية وربى وجبال اصلح لسكنى الحيوانات عموماً والطيور خصوصاً التي تجد لاوكارها واقواتها الماء شديدة الحرارة في وطأ بحر الميت ونهر الاردن وسهولاً كثيرة الخصب كسهول شارون وبطائح مرجعيون وانجاداً مرتفعة كجبال مرآب ومياهاً عذبة كبحيرة جنَّاسر ومياهاً مالحة كبحر الشام وقفاراً كاريحا وجهات الحولة واماكنة آهلة كالجليل وبلاد بشارة. فكل هذه الاختلافات في المناطق ودرجات الحرارة والخصب والقفار موافقة لسير عدد الطير وتلوُّن اجناسها بحيث يجوز القول انَّ فلسطين جامعة لثلاثة اجناس من الطيور اعني الطيور الاوربيَّة الساكنة البلاد الباردة ثمَّ الطيور الهنديَّة التي تُرى في جنوبي آسية وأخيراً الطيور الافريقيَّة القاطنة في الحبشة وان كان عدد الاولى اوفر من سواها

ولكن دعنا نحصر بحثنا في بعض اصناف الطيور الفلسطينيَّة نريد بها جوارحها وليس الجوارح كلَّها بل النهاريَّة دون الليليَّة وفي ذكرها من الفائدة ما لا يُخفى فنقول

وصف الكواسر عموماً

انَّ كواسر الطير بالاجمال تمتاز بالخواص الآتية فانَّ لها منسراً اي منقاراً شديد الصلابة ينتهي في طرفه بسنّ مرؤس معقوف الى اسفل وجانباه المنقار محدَّدان لتمزيق فريستها. ويدخل المنقار الاسفل نوعاً في الاعلى. ويغطي اعلى منقار الطائر جُلَيدةٌ صفراء لامعة فيها ثقبان هما منخراهُ يختلف جدًّا وضعهما وهيئتهما على اختلاف انواع الكواسر. ولهُ عينان على جانبي الرأس يمتدُّ بصرهما الى مسافات بعيدة على

خلاف الكواسر الليليَّة التي لا تستطيع ان تنظر الى غير ما هو امامها. وعينا طير الليل ثاقبان جدًّا يحرسهما حجاج قوسي الشكل ناتئ. وتكلّ الكواسر بالاجمال صوت ابحّ وحزين وتمتاز هذه الطيور بمخالبها القاطعة. لها ساقان في غاية الصلابة يعاونان قدمين ذات اربع براثن شديدة العضلات ثلاثة منها الى الامام والرابع الى الوراء. وفي طرف البراثن اظافير كالأسنَّة مقوَّسة يمدّها الطائر او يقبضها على طوع غريزته وهما من ارهب سلاحه فاذا انقضَّ على فريسته عَلِقت بها تلك البراثن كالشصّ ومزّقتها وجروح هذه الاظافير لا تشفى الّا نادرًا. واذا انتهى الطائر من افتراس الفريسة ردَّ اظافيرهُ الى شبه الغمد في اخمص رجليه

واجنحة هذه الكواسر كدة اللون قاتمة وهي في الغالب كثيفة تحجب جسمها بتمامه حتى انها تبلغ في بعض اصنافها اطراف الاقدام وتُسَرْوِل ساقيها. وللجوارح احجامٌ متباينة فمنها الكبير ومنها الصغير وبعضها لا يزيد حجمهُ على حجم الشحرور والبعض الآخر يكون على حجم الكركيّ. وقد خُصَّت هذه الجوارح بقوَّة عجيبة للطيران فاذا طارت حلّقت في الجوّ وبسطت اجنحتها الطويلة لا ترهب الانواء وربَّما قبضت فريستها بخمالبها في الفضاء معها وقد وجدوها حاملةً في براثنها الارانب والخراف حتى الاطفال الصغار وربَّما نقلتها الى امكنة بعيدة. والكواسر تفوق على جميع الطيور بارتفاعها الى طبقات الجوّ العليا حتى انها تبلغ الى علوّ تسعة كيلومترات كما اثبت السائح اسكندر دي همبولد (Al. de Humboldt) يومَ رقي اعالي جبل شمبورازو من اطواد جبل الأنديد في جنوبيّ اميركا فبلغ الى علوّ ٦٠٠٠ متر فوق سطح البحر وكان الهواء متخلخلًا حتى انَّ الدم جعل يسيل من أذنيه وانفه لقلّة ضغط الهواء. واذ كان هناك رأى كاسرًا قد طار فوق رأسه فاذا هو طائر الكُندر الذي لم يزل يرتفع حتى صار في عينه على شبه العصفور الصغير وذلك بسرعة غريبة تذهل العقل. فيالله كيف يستطيع الطائر ان ينتقل هكذا في ساعته من السهول البحريَّة الى طبقات الجوّ العليا من الحرّ اللافح الى البرد القارس ومن الهواء الكثيف الى الهواء البالغ التخلُّل دون ان يجد في ذلك أذًى ولا ضررًا مع انَّهُ يتجاوز في دقائق قليلة مسافة خمسين درجة من مقياس الحرارة المئوي

ومن خواصّ الكواسر ايضًا انَّها شديدة النَّهَم وهي مع ذلك تستطيع ان

تصبر على الاصرام الطويلة . واذا وجدت فريستها اودت بهـا لا محالة ولذلك تخافها بقيّة الطيور وتحتجبُ عنها . ومن رحمة الله انّها قليلة المواليد وانثاها لا تنسل الّا مرّة في السنة وبيضها لا يزيد عن ثلاث بيضات وربّما باضت بيضةً واحدة . ولهـا اوكار تحضنها في وجه كل عدوّ فمنها ما يعشش في رؤوس الاشجار البـاسقة او في الجبال الشاهقة . وتختار في فلسطين الصخور المرتفعة او شقوقها التي يصعب البلوغ اليها . وتكون اوكارها واسعة تتركّب من قضبان غليظة ثم ليّنة ثم رقيقة وتغطيهـا بالادغال وتهندس جدرانها الداخلية فتبسط عليها الصوف والخرق اللينة الوثيرة . وهذه الاوكار يصطنعها الذكر والانثى كلاهما وتدوم مدّة الحضانة من ثلاثة اسابيع الى خمسة فاذا حان الوقت فقست الانثى البيضة فخرج الفرخ ورأسهُ في غاية الضخم بالنسبة الى جسمهِ وعيناه مغمّضتان ويكون اذ ذاك أكولًا لا يشبع فيقوتهُ ابواهُ بلحم صيدهما فيُلقّم اوّلًا الطعام مَلوكًا ممغوضًا ثمّ يُجعَل اللحم امامهُ ليتطعّمهُ . وبعد ذلك يُقدَّم لهُ لحم الصيد الحي عند باب الوكر ليمزّقهُ باظافيرهِ ويأكلهُ . واذا فعل ذلك مدّةً طردهُ الابوان من العشّ بلا شفقة ليسعى اقوتهِ وحدهُ . واشرس مـا تكون الكواسر في وقت تربية الصغير فانّها لا تدع احدًا يقرب من وكناتها وهي تهجم حتى على الانسان اذا اراد مطاردتها

انواع الكواسر الفلسطينية

الكواسر التي تُرى في النهـار في بلاد فلسطين تنقسم الى فصيلتين اعني بهما فصيلة العقبان وفصيلة الصقور

١ فصيلة العقبان

نبتدئ بذكر العُقبان وهو جمع عُقـاب يريدون بهِ ما يدعوهُ الفرنج باسم « vautour » ولعلّ هذا الاسم عند العرب ادلّ على ما ندعوهُ بالنَّسر (aigle) وعلى كل حال نكتفي بالاشارة ونطلقهُ على معناهُ الشائع . وجنس العقبـان (vulturidés) يُعرف بخاصّة يمتاز بها وهي تجرُّد عنقهِ من الريش وكذلك رأسهُ كثيرًا ما يكون اجرد اصلع او عليهما الزغب الناعم فقط . ومن هذه العقبان اربعة انواع في فلسطين

فالاوّل وهو اصغرها واكثرها شيوعًا هو الرَّخَم ويدعى « دجاجة فرعون »

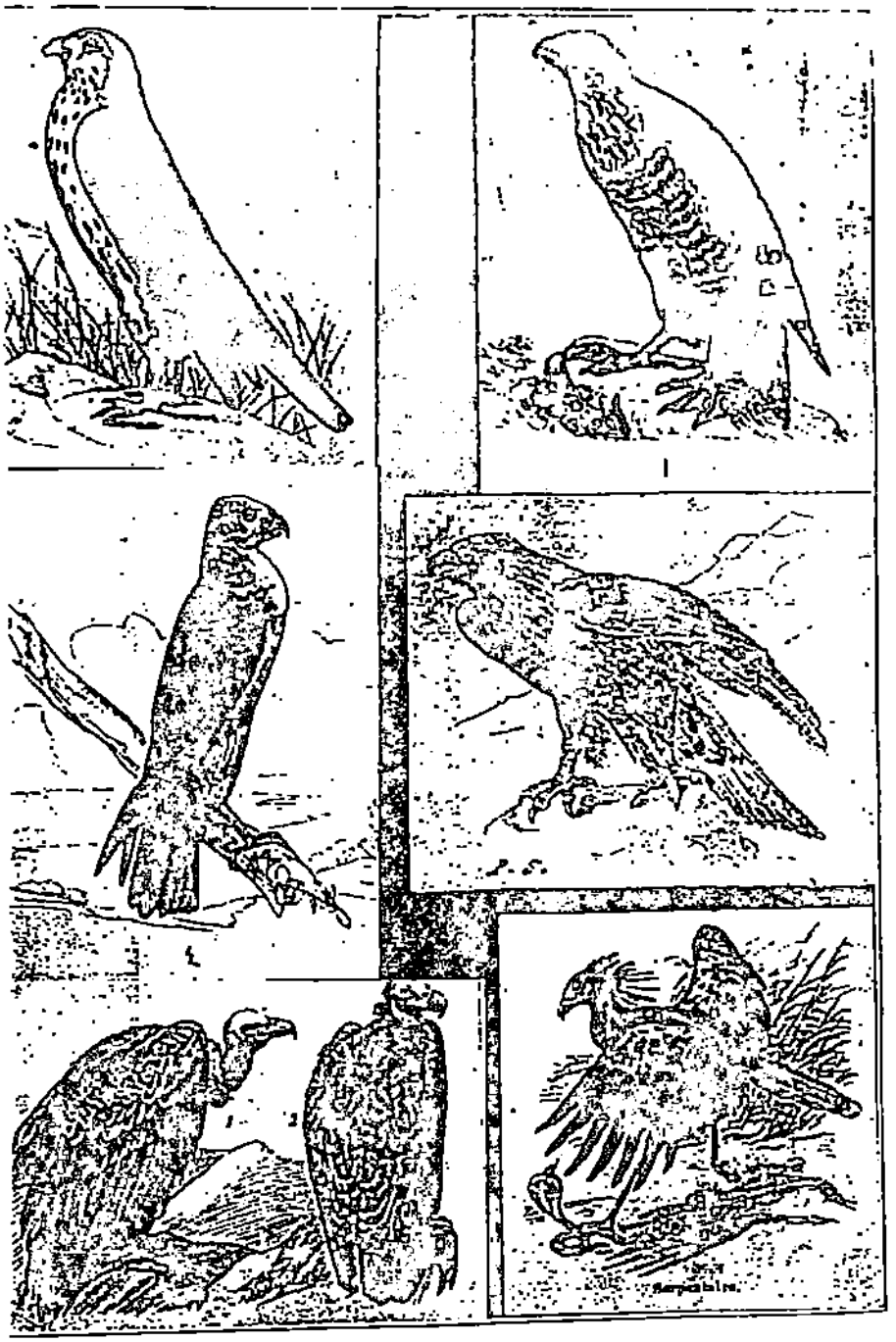

كواسر فلسطين النهارية

١ الباز ٢ الباشق ٣ النسر ٤ الصقر ٥ صيّاد الحيّات ٦ العقاب والرَّخَم

(poule de Pharaon) ويسميه العلماء بكندة لون ريشه « percnoptère » وكثيراً ما نراهُ في الجوّ وهو يحوم فوق مجزر (مسلخ) بلديّة القدس في بيت عنيا وهذا النوع يقتات من فضلات ذاك المسلخ المنتنة فيشكرهُ الناس على افتراسه تلك النتانات وتنظيفه لتلك الامكنة الوبيئة فيسلم البلد من اضرارها . وهذا النوع اذا كبر يكون لبقاً حسن المنظر وريشهُ ابيض اما أجنحتهُ فسوداء الى الكمدة . لهُ رأس اصلع وساقان صفراوان من لون الليمون الحامض . وفراخهُ سنجابية اللون سمراء . وقد وصفهُ الدميري في كتاب الحيوان بما نصُّهُ (١ : ٤١٤—٤١٥) :

الرَّخَمة طائر ابقع يشبه النَّسر في الخلقة وكنيتها امّ جعران . . . ويقال لها الأنوق والجمع رَخَم . . . ومن طبع هذا الطائر أنهُ لا يرضى من الجبال الّا بالموحش منها ولا من الاماكن الّا بأسحقها وابعدها من اماكن اعدائهِ ولا من الشعاب الّا بصخورها ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع ببيضه فيقولون اعزّ من بيض الانوق . . ويقولون احمق من رخمة وانما خُصَّت من بين الطير بذلك لأنها ألأم الطير واظهرها حمقاً واقذرها طُعماً

وقد وقفنا على بيض الرخمة فهو كبير مستدير سنجابي اللون . ولدينا بيضة أُخرى صغيرة الحجم يكاد ثقلها لا يبلغ ربع ثقل البيض العادي وقد باضتهُ الرخمة عندنا في مأوى مار بولس الالماني في القدس وذلك انَّ احد اهل كفرعقاب اصطادها ليلاً بين صخور قرية « حسمه » فجاءها في كيسهِ حيَّةً مع بيضة وجدها في وكرها . ولئلا تفطس اخرج رأسها واتاني بالكيس . فتركتها على حالها لتراكم الشغل عليَّ مدَّة ثلثة أيام ثمَّ اخرجتها بعد ان اضعفها الصوم وقسوة المعاملة فربطتها باحدى ساقيها ربطاً اذبحها لأصبرها . وبعد ساعة اذ قصدنا مباشرة العمل وجدناها قد باضت هذه البيضة الصغيرة الخفيفة النقل وكفى بذلك دليلاً على قوَّة هذا الطائر الذي باض في تلك الاحوال

النوع الثاني هو العُقاب الابيض الرأس الذي يدعونهُ باسان العلماء غريفوس (gryphus) ومنهُ في الفرنسويَّة « griffon » ويسميه العرب رخًّا (١ وقد كثرت في هذا الطائر اوهام الناس حتى عدُّوهُ من التهاويل واخرجوهُ مخرج الخرافات . والرخّ حقيقةً ليس بطائر غريب فمنهُ كثير في فلسطين . وكنا نراهُ في الاسابيع الماضية يحوم في القدس فوق جبل الزيتون فكنَّا نميّز رأسهُ الابيض على زرقة السماء .

١) راجع في اوّل سنة المشرق (١٨٩٨) في الصفحات (٢٠٢—٢٠٥) ما كتبهُ في هذا العدد حضرة الاب انطون صالحاني

وعلى ظننا انهُ كان اشتمَّ رائحة جملٍ ميت كانوا رموهُ عند ملتقى طريق عَنانا بطريق جبل الزيتون. ولدينا منهُ فرد آخر مصبَّر كانوا اصطادوهُ عند عين فـاره وطول جناحيه بالغ متريْن و٦٠ سنتمترًا وقد رأيت غيرهُ يقيس ٣ امتار. والرخّ الابيض لا يبيض الّا بيضة او بيضتين في السنة والبيضة حجم كبير ولونها ابيض وتكون احياناً منقَّطة بحمرة

والنوع الثالث من العقبان وملكُها في فلسطين بضخمهِ وشدَّتهِ العقابُ المعروف بالنـاسك او الراهب (vautour moine) دُعي بذلك لريش على عنقهِ يشبه قبعة الرهبان واكليلهم. وفي متحفنا الاورشليميّ منهُ مثال حسن اتانا بهِ عبدٌ من رعاة الاعراب تصيَّدهُ بين نبيّ موسى ودير مار سابا. وذلك انهُ كان يرعى المواشي في تلك الجهات واذا بغنمة من قطيعهِ ماتت في احد الأيام فرمى بجثتها على صخرة واختفى في فُترةٍ ينتظر حيواناً ضارياً او طـائرًا كاسرًا يقصدها لافتراسها فيرميه بالرصاص. فما لبث عقاب من نوع الرخّ ان اشتمَّ رائحتها فانقضَّ عليها لكنَّ رصاصة الراعي جندلتهُ من ساعته. ثمَّ لبث قليلًا واذا بطائر آخر من نوع العقبان النسّاك حوَّم فوق الجثَّة لينال منها فصوَّب البدويّ رصاصتهُ عليه فكسر جناحهُ ثم اصطادهُ حيًّا بحبائلهِ وحمل كلا الطيرين الى مقامنا بعد ثلاث ساعات وكان ربط ساقي الحي بساقي الميت وجعلها فوق حمارهِ كالجوالق. فلمَّا وصل الى بابنـا وأُخبرت بمجيئهِ انحدرت حالًا لاستقباله فاضحكني منظر الحمـار المضحوك تحت حملهِ وكان اذا توقَّف في طريقهِ عن السير نقرهُ عقاب الناسك في بطنه فعجَّل في سيرهِ جبرًا

وفي فلسطين عُقاب عزيز الوجود يدعونهُ في لسان العلم باسم مزجيّ معنـاهُ العقاب النَّسر (grypætos) يريدون بذلك انهُ قريب الشبه بالنَّسر ومن امتيازات هذا النوع انَّ لهُ ريشاً تحت منقاره الاسفل شبه اللحية ولذلك يدعونهُ ايضاً بالعقاب المُلتحي (grypætos barbatus). وقد سمَّاهُ الدكتور جورج پوست في كتـابه عن الطيور (ص ٥) بالأنوق لكنَّ وصف الدميري للانوق لا ينطبق عليه فانهُ يقول في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى (ص ٥) « انَّ الانوق الرَّخمة او طائر اسود لهُ شيء كالعُرف او اصلع الرأس اصفر المنقار قيل انَّ في اخلاقها اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكّن من نفسها غير زوجها ». وهذا الطـائر صغير

القدمين عظيم الجسم سنجابي اللون مبقّع بنكت بيض. وحتى الآن لم اجد منهُ طائرًا بتمامهِ. ومنذ ربع القرن كتب التانوني ترسترام انّ ما يُعرف من اشكاله في فلسطين لا يتجاوز عدد الاناملِ. وقبل اربع سنوات رأى سيّاح المدرسة الكتابيّة في القدس طائرًا منهُ في وادي الزرقاء شمالي شرقي بحيرة لوط لكنهُ كان ميتًا منتنًا فقاسوا ريش جناحيهِ فاذا طول الريشة ٧٥ سنتمترًا. وقد وقع في يدي ريش عقاب آخر كان طولهُ من ٦٠ الى ٦٣ س. وفي هذا العام وقفتُ على قطعة رأسهِ مع لحيتهِ المميّزة لهُ وقد كان احد الصيّادين رماهُ بالرصاص عند عين فاره لكنهُ لم يعثر على جثتهِ الّا بعد ثلاثة أيام تحت صخر عريض وقد كانت الضواري قد افترست معظمهُ الّا الرأس الذي ابقتهُ الشمس المتوقدة

٢ فصيلة الصقور

ليست فصيلة الصقور بين كواسر الطير الفلسطينيّ اقلّ شأنًا من العقبان لا بل تبلغ رُتبها واشكالها ما لا تبلغهُ ضروب العقبان وانواعهُ وممّا تمتاز بهِ هذه الطيور اجمالًا انّ رأسها يغطيهِ الريش وانّ عيونها غائرة غُؤورًا يختلف على حسب انواعها ولها المخالب الحادّة والمضلات العالية المناسبة لاصطياد الحيّات واذا فتكت بفريستها غرزت مخالبها في احشائها وقتلتها قتلًا وحيًا

ولهذه الفصيلة رُتب عديدة يوجد في فلسطين كثير منها واوّلها النسر المعروف بتلك الطيور الذي هو رمزٌ عن القوّة والشهامة وتتّخذهُ الدول كشارة اعلامها ونقودها. والنسر اشكال مختلفة اشهرها النسر الملكي ثم القيصري ثم نسر الاقفار والصحاري ثمّ النسر الصيّاح والنسر المتنقل ثمّ النسر الملكي اوطور (autour) ومنهُ ضربان العادي والاسمر ثمّ النسر فيروكسي (verrauxi) والنسر المخطّط الذنب. ثم النسر الدوّار (circaète). ومنها شكل الحداءات التي لها ثلاثة ضروب في فلسطين الحداءة الملكيّة والحداءة السوداء والحداءة المتلثّمة. ومنها شكل البواشق كالباشق العاديّ والباشق الشرس والباشق الاشقر. ومنها الشواهين الكثيرة الانواع. ومنها البُزاة المتّخذة للصيد وهي ضروب مختلفة جدًا يتنافسون في تربيتها وتدجينها ولها من المآثر في الصيد ما يطول شرحهُ

فهذه الاشكال وغيرها تألف جبال فلسطين وقفارها ولو اردنا وصف كلٍّ منها لطال بنا الكلام ومن ثمَّ نكتفي بذكر شكلين منها النَّسر الدوَّار (circaète) المعروف بالباحث عن الحيَّات (serpentaire) فهذا قد وجدتهُ كثيرًا في فلسطين حيًّا يخلب النظر بحسنهِ لا سيما بعينيه الكبيرتين اللتين تشبهان درَّتين صفراوين برَّاقتين فلا يشبع الناظر من معاينة محاسنه . ولا شكَّ ان نظره يسحر الحيَّة فتجمد امامهُ اذا انقضَّ عليها . وهو لا يبيض الَّا بيضةً واحدة كرويَّة يُغالي الناس في ثمنها . ولهذا الطائر قدمان وعضلات عليها شبه الحراشف لا يؤثر فيها لسع الحيَّات اذا قبضت عليها ببراثنها

واحسن ما وجدنا من النسور في فلسطين نسرٌ اسود يدعوهُ العلماء فيروكسي (verreauxi) يُرى اليوم مصبرًا في متحفنا . والذي حصل عليه انَّما هو ذاك البدوي الاسود الذي سبق ذكرهُ وقد اصطادهُ في جبل نبي موسى وكلهُ اسود فاحم الَّا اسفل ظهره الذي هو ناصع البياض . فلمَّا اتاني به الصيَّاد اخذني العجب من شكله وراجعت ما لديَّ من اوصاف الطير فلم اقف على جنسه . ثمَّ كتبت الى احد العلماء الطبيعيين في اوربة فكان جوابهُ انَّهُ لا يعرف نسرًا من هذا الجنس . فراسلت علماء سيلازية وبراين واندن الذين اجابوا انَّ هذا النسر ليس بفلسطيني بل هو من طيور بلاد الحبش وكذلك اجابني المصبرّ الالمانيّ الذي تُرسل اليه من جهات المعمور كل اجناس الطيور ليصبرّها انَّ هذا النسر من غربيّ افريقية . لكنَّهم صادقوا اخيرًا على قولي بعد ان ارسلتُ اليهم الطير فعاينوهُ وتحقَّقوا انَّ هذا النَّسر ليس هو حبشيًّا فقط بل يسكن ايضاً في جهات فلسطين . ثمَّ تحقَّقت ان بعض الصيَّادين وجدوا غيره بعد ذلك

هذه نبذة صغيرة قدَّمتها لمحبّي تاريخ طير هذه البلاد ومنها يعلمون كم من العجائب زيَّن بها الخالق هذه الاقطار ولا يسع الواقف عليها الا ان يردّد قول النبيّ اوَّلًا « باركي يا طيور السماء الربَّ وسبّحيه الى الابد »